المقـاتـل الفلسطيني هناك. وانْ تشابهت الظروف والملامح، فان البعد الزمني في الذكرى يتجاوز، احياناً، في النص، الزمن القريب، وكأن الاشجار ورمز الجد ضاربة في جذور التاريخ، نشعر بها في انفتاحات ذاكرة النص، بقولها، على لسان الراوية في قصة «كيف صار الاخضر حجراً»: «أذكر ذاك الضيـاء المنبعث من نافذة بيتنا، مطلاً على روابي خضراء وسهول فسيحة كامتداد السماء. امّي تشذّب لحاء الشجرة الكبيرة، وتقول ان جدّنا الاكبر حرث الارض الصغيرة تلك ونثر فيها البذور حتى ترعـرعت وأصبحت شجـرة تين ضخمـة، ثمّ نمـا الزيتون والبرتقال وتشرّبت التربة بنكهة الشوك والصبّار. يومها كنت صغيراً، وكنت ألهو واقتطع الثمار قبل نضجها، فما كان من أمي الّا ان وبختني بعنف»[٢٨].

وواصلت القاصة، على لسان الأم، وصيّتها العظيمة كترميز دلالي واضح للقضية: «كن محبّاً لأرضك ولكل الاشجار». لغة آمرة ومستبدة وقاسية من اجل التشبّث. هنا التضاريس ليست خليجية، وهي بسيطة للغاية في استبطان الحقيقة المصوّرة كقصة رجل من المقاومة يسقط في يد الاعداء بعد استشهـاد مجمـوعة من رفاق الدرب وهو يستدعي ذكرياته في الزنزانة بين حالة الحلم والغيبوبة. اختتمت فوزية رشيد القصة بنبرة انفعالية وخطابية مركّبة باقتحام البناء الفني تعسّفاً، بقولها: «لم يبق بعد الآن غير الحجر والكراهية لأولئك السفلة تملأ عروقي حتى النهاية» (ص ٤٠).

وعند خلف احمد خلف تأخذ القضية بعداً أعمق وتأثّراً شخصياً. فقد عاشها الكاتب، وتفاعل معها وجدانياً، من خلال قراءته الأولى للقصص الفلسطينية، أو عبر الانتماء القومي الذي رافقه في الصحو والحلم، فكتب قصة قصيرة بعنوان «وجهان وفأر مذعور»[٢٩] وظّف فيها تقنية الرمز، من خلال انشـطار الشخصية الى وجهين في ثنائية متناقضة، صراعية، تعتمد على حافز الاثارة. وحول هذه القصة، أشار الناقد د. ابراهيم غلوم الى أهمية «ادراك قيمة مثل هذه العلاقة في ترسيخ النماذج بين الواقع والرمز، أولاً، وفي أبعاد المقاربة المباشرة عن المضمون القومي، ثانياً»[٣٠].

وبعد انقطاع عقد كامل ما بين مجموعته الاولى، أطلّ علينا خلف بقصة «خوارج الزمن الآتي» في مجموعته الثانية «فيزنار»، جسّد فيها، من خلال دلالية الرموز في الاسماء والاضاءات، جبروت القضيـة واستمرارها بتكثيف لغوي، وبنفس أكثر تفاؤلاً، وبوضوح رؤيا ونسيج سهل التوغّل فيه وادراك كنهه. فهناك الخيمة والأب «ماضي» والابن «مقبل» اشارة الى استمرارية الزمن والقضية، من الماضي الى المستقبل، والظروف القاهرة التي ولد فيها الابن واغتصاب الارض. شخصية الأم ذلك الترميز الدائم للاخصاب والعطاء والقوة والارض، والتي حاول الاعداء حقنها لتصبح عاقراً، «لواد النسبة المئوية»، الالغام المحاطة من «الجوانب الثلاثة»، بحيث يبقى الخيار الاخير والأوحد الاكثر خطورة في الواقع العربي. واستخدم خلف الامتداد البصري / المجال للايحاء بالمكان والمدى بعبارة «هناك عبر كثبان الرمل كنّا نعيش»، وعبارة «كانت لنا بيوت، لا أدري ان كنت تعرف معنى البيت. لم يكن خيمة. اغتصبوا أقدس عواصمنا. تسألني ان بقي ثمّة احد منا في المدن المسبية» (اشارة لسقوط بيروت). وما بين لعنة وحسرة الأب وتشرده في الصحراء وقبوله بالخطأ في الرحيل والهجرة، ينتزع «مقبل الابن فتيل التمرّد ويحوّله الى حالة فعل أكثر ثورية ومنهجية في معرفة طريقة الجديد. يلتقي بحامد الفلسطيني [بطل ' ما تبقى لكم ' ، لغسان كنفاني] في خروجه الثاني. يتصافحان ويتعاهدان، يبدآن سوياً من الآن. لن يكون لواحد منهما خيمة الصحراء، وللآخر نعيم السراب. من الآن يبدآن، سوياً، مع الفجر الآتي، في اقتحام ممالك الطوائف وشيوخ القبائل، قبل قلاع الاعداء»[٣١].

هنـا نلمس، بوضـوح، تأثيرات قصص غسـان كنفـاني، مثل رواية «ما تبقّى لكم» و«أرض